الدَّعوة العلميَّة في القرآن
إثبات وجود الخالق ودحض دعاوى الملحدين

أ.د. عمر عبد العزيز*

مقدمـة :

لقد أراد المولى عز وجل أن يبتلي بنى آدم حتى يُمحص عباده ، فضّل كثير من بنى آدم وكفروا بالمولى عز وجل فكان أن أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، وأعطى كل رسول من الآيات ما يعينه على أداء رسالته فتبعه من تبعه، وأصر على الكفر الكثير . وقد اختلفت الآيات من رسول لآخر " عليهم السلام" وكانت آية خاتم الأنبياء المرسل للناس كافة القرآن الكريم .. معجزة دائمة، يتجَّدد إعجازه في كل زمان ، وكان لزاماً على من تبعه وآمن به أن يحمل الرسالة من بعده ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور وينقذهم من عذاب الآخرة .

واستمر المسلمون حيناً من الدهر يحملون هذا التكليف فحملوا الرّسالة للصين شرقاً وإلى الأندلس غرباً ثم توقف المد الإسلامي المنظَّم وراح ينتشر بفضل التجارة والمهاجرة، ثم تكالبت بلاد الكفر على خلافة المسلمين وبلادهم حتى انزوى الإسلام في العبادات والأحوال الشخصية؛ ونحمد الله بأنّ زماننا هذا قد شهد بداية الصحوة الإسلامية وعودة الوعي الإسلامي المتكامل للدِّين والدوُّلة .

والنظرة العالمية للإسلام تحتم علينا أن نتوقف للتفكُّر في حال الأمم الموجودة حالياً وتوجهاتها العقائدية لاستقراء الحجج والتفكُّر في أسلم الطرق للدعوة من كتاب الله وسنة رسوله (صلي الله عليه وسلم). والحديث في بحثنا هذا سيختصر على شريحة من البشر أضلَّهم الشيطان فكفروا بالمولى عز وجل وأنكروا وجوده تماماً معتمدين في ذلك على فرضية اتخذوها ديناً. ولربما يتساءل سائل ألا يجدر بنا أن نتفكَّر في حالنا الآن ونسعى لنواجه التحديات الخارجية والداخلية؟ ولمثل هذا نتذكر معاً غزوة الخندق حين تحرك الكفار بعدتهم وعتادهم وكبر أعدادهم يريدون محمداً (صلي الله عليه وسلم) وصحبه في المدينة ... قريش وغطفان من الخارج وبنو قريظة من الداخل وهنالك زُلزِل المؤمنون ... ومن كانوا ؟ أصحاب رسول الله (صلي الله عليه وسلم) خير البشر (إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون ، هنالك أبتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) [الأحزاب: 10-11]. فاقترح سلمان الفارسي(رضي الله عنه) حفر الخندق حول المدينة حيث وافقه رسول الله (صلي الله عليه وسلم). وعند الحفر اعترضت الصحابة صخرة فأتى رسول الله (صلي الله عليه وسلم) لها وحمل المعول وسمى الله وهوى به على الصخرة ثم هتف رسول الله (صلي الله عليه وسلم) مكبّراً :

---

* أستاذ وعميد كلية الطب بجامعة الرباط الوطني ، السُودان .

" الله أكبر أعطيتُ مفاتيح فارس ولقد أضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى وإن أمتي ظاهرة عليهم". ثم رفع المعول وهوى به على الصخرة مرة ثانية وقال رسول الله (صلي الله عليه وسلم) :

"أعطيتُ مفاتيح الروم ولقد أضاء لي منها قصورها الحمراء وإن أمتي ظاهرة عليها " وبلا شك فإنّ المنافقين في المدينة كان لسان حالهم يقول أي ورطة نحن فيها ومحمد (صلي الله عليه وسلم) يحلم بقصور كسرى والروم (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) [الأحزاب آية: 12] .(ولكن هو وعد الله الـحق...)، (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) [الصف آية: 8]. وقد أختار الله رسـوله (صلي الله عليه وسلم) إلى جواره ، وترك فينا القرآن والسُّنة وحمل كل من آمن بالله ورسوله عبء التبليغ عنه . ولذا كان لزاماً علينا أن نتفكَّر في كل حين في حال الأمم في هذا الزمان ونعد لهم ما استطعنا من قوة لنخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله تعالى .

البشرية والدعوة الإسلامية :-

لقد بدأ الله (تعالي) إعداد رسوله (صلي الله عليه وسلم) للدعوة منذ صغره حيث اصطفاه من خيار قريش نسباً ثم جعله صادقاً أميناً هيّناً ليّناً حتى لا ينفض الناس عنه قبل سماع دعوته . وعندما بدأ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) دعوته جمع قريش وقال لهم **" أرأيتم إن حدثتكم أنّ العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم قال " فأنى نذير لكم من بين عذاب شديد "**[1]. وقد قالوا قولهم هذا لأنهم ما عهدوا عليه كذباً أو سوء خلق ، وهذه هي القاعدة الأولى للداعية التي أوضحها الله لنا في رسوله ، فيجب أن يتصف من يدعو لله سبحانه وتعالى بحسن الخلق والصدق سواء أن كان شخصاً أم دولة . وأذكر في هذا الخصوص حادثة صغيرة حدثت في محطة " يوستن " بلندن وأنا أجلس على أحد مقاعد المحطة وعلى مقربة منى تجلس امرأة إنجليزية تقارب الستين عاماً في عمرها ولم تمر لحظات حتى رأيت شاباً أفريقياً ، حليق الرأس والذقن يضع على رأسه قبعة ويرتدى "جاكيت وبنطلون" ويحمل في إحدى يديه كوباً من الشاي وبالأخرى أغراضاً له وجلس هذا الشاب بقرب تلك المرأة وحياها وبدأ حديثاً عاماً معها وبعد قليل سألها عن دينها فقالت أنها مسيحية فقال لها بأنّه مسلم وليس هنالك فرق بين الإسلام والمسيحية وأننا نعبد نفس الإله مع وجود اختلافات. فسألته من أين هو؟ ، فأجاب بأنه "....." ثم سألته عما أتى به لإنجلترا : فقال لها بسبب الحروب الدائرة في بلاده "بين المسلمين" ثم راح يحدثها عن الإسلام وهى تجيب عليه باقتضاب وامتعاض يعرف معناه كل من عاشرهم لمدة ، فلسان حالها يقول : مالي وإسلامك الذي فعل بك ما فعل ! .

وهكذا فإنّ مصداقية حديثه عن الإسلام قد كذَّبها واقعه وحاله وواقع بلاده، فما كان من تلك المرأة إلا أن تنصرف عنه . ومعظم المسلمين الموجودين بالغرب والشرق كانوا يعكسون أسوأ صورة للإسلام وللمسلم ، وإن كان حالهم الآن قد تغيّر كثيراً في إتجاه الإسلام الحق .

---

[1] الحديث رواه البخاري.

والخارج من بلاد الإسلام يجد مِلَلاً كثيرة لا تختلف عما كان عليه حال البشر العقائدي في بدايات رسالة الإسلام . وكان البشر في عهد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) ينقسمون للأقسام العقائدية الآتية :

1- مؤمنون بمبدأ الألوهية ووجود الخالق

أ - المسلمون : -

- مؤمنون
- منافقون ، (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) [الحجرات آية :14]،(بشِّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً) [النساء آية: 138].

ب- الكفار: -

- أهل الكتاب : (ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إنّ الله على كل شئ قدير) [البقرة آية: 109] .
- المشركون : عبدة الأصنام: (ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون) [التوبة آية: 17].

-عبدة الشياطين والنار والأشخاص: (وقال فرعون يأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى فاوقد لى يا هامان على الطين فأجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين) [القصص آية: 38].

2- غير مؤمنين بمبدأ الألوهية أو وجود الخالق

(وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) [الجاثية آية :4].

ورغم أنّ أعداد البشر الآن قد بلغت أكثر من "6" مليار نسمة فإننا نجد أنهم لم يختلفوا كثيراً في اقسامهم العقائدية وأنّ حوالي ربعهم من المسلمين وربعهم من أهل الكتاب والبقية أما أنهم لا يؤمنون بالله البتة أو أشركوا به . بمعنى آخر فإنّ الله سبحانه وتعالى في مخاطبته للبشر في القرن السابع الميلادي كان يعلم بأنّ خطابه عز وجل سيكون مستمراً لنفس الفئات إلى يوم القيامة .

ومن هذا الكم الهائل من البشر الذين لا يؤمنون بالله نسبة كبيرة تتخذ من الداروينية وغيرها ذريعة جدلية للتهرُّب من حقيقة وجود الخالق ، وربما مجموعة كبيرة ممن يطلق عليهم أهل الكتاب قد كفروا بالله واتبعوا تفسير هذه النظرية هروباً من رجالات دينهم .

وقد حاول كثير من المنظمات والأفراد خوض سبل الدَّعوة في بلاد الغرب والشرق الكافرة ولكن مازالت ثمار مجهوداتهم ضعيفة للغاية؛ والمستوى العلمي والاقتصادي لأهل تلك البلاد يتطلب دراية أكبر بأحوالهم وطرق النقاش معهم حتى يمكن للمسلم توصيل وجهة نظره ، وهذا بلا شك يستدعي العمل على إزالة الحواجز لإيصال كلمة المولى عز وجل لخلقه وإعداد ما استطعنا من قوة لذلك .

وبعض المسلمين أنفسهم يفتقرون إلى هذا البعد العلمي وعلى أعلى المستويات العلمية ، فقد حدث في ندوة نظمتها جمعية الطلبة المسلمين بمانشستر عن الإعجاز العلمي للقرآن وتُطِّرق فيها للداروينية ، حدث أن قال طالب دكتوراه في التاريخ الإسلامي من قطر عربي : وماذا يهمني كمسلم هذا الإعجاز فأنا والحمد لله أؤمن بالله ومتبع الإسلام ولا حاجة لي لإضاعة وقتي في هذه الأمور؟ وكان رد منظم الندوة عليه بأنّ الأمر كله للدعوة في سبيل الله ولو كان محمد (صلي الله عليه وسلم) أتبع نفس المنطق لما خرج الإسلام من مكة .

وقد صارت الداروينية ديناً للبعض لا يقبل الجدال فيها، فهذا عميد إحدى كليات الطب الغربية في مؤتمر يعرض أبحاثاً عن إنتقال الكهارل في غشاء الخلايا يقف ليقول هنالك مجال لم نتطرق له البتة وهو كيف نفسِّر كل هذه التغيُّرات وفقاً لنظرية الاختيار الطبيعي وهى النظرية التي اعتمد عليها داروين في تفسير التطوُّر. وهذا يمثِّل قمة الصرح العلمي في الجامعة ورغم ذلك فهو لإيمانه بالداروينية لا يرى مفسِّراً لكل مجريات الكون غيرها .

وقبل أن استرسل في الحديث عن الداروينية والدعوة القرآنية كان لزاماً علىَّ أن أتوقف قليلاً وأتساءل : هل يجوز لي أن استعمل آيات القرآن في إظهار الحجج والرد على الظواهر العلمية ؟.

القرآن والحجج :

لقد حثّ الله سبحانه وتعالى رسوله (صلي الله عليه وسلم) بأن يجتهد في الدعوة ويبشر وينـذر(ياأيُّها المدثر، قم فأنذر) [المدثر آية:1-2].

وقصّ عليه من القصص ما يؤيِّد استعمال الحجج في الرَّد على الكفار فسيدنا موسى (عليه السلام) طلب من المولى عز وجل أن يرسل معه هارون لأنه أفصح منه في المخاطبة (وأخي هارون هو أفصح منى لساناً فأرسله معى ردءاً يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون) [القصص آية:34].

وسيدنا إبراهيم (عليه السلام) قد حاج الملك :

(ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) [البقرة آية: 258]. وقد دعانا المولى عز وجل للجدال بالتي هي أحسن: (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون) (العنكبوت آية ، 46) .

ودعانا ألا نسب الذين يدعون من دون الله(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون) [الأنعام آية : 108].

مما سبق يتضح جلياً بأنّ استعمال الحجج القرآنية أمر رباني وسنَّةِ نبويةِ يجب اتباعه في سبيل الدعوة لله وأنّه أحد الأساليب المكملة للطرح العملي للإسلام .

القرآن والتفاسير :

أورد د. محمد حسين الذهبي دراسة تفصيلية للتفسير والمفسرين نقتطف ونختصر منها الآتي :

إنّ رسول الله (صلي الله عليه وسلم) كان يفهم القرآن جملة وتفصيلاً . وتفاوت الصحابة في فهمهم لمعاني القرآن الكريم، وأوضح لهم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) الكثير منه ، كما اجتهدوا في فهم بعض المعاني واخذوا من أهل الكتاب بعضها . واستعانوا في اجتهادهم بمعرفة أوضاع اللغة وأسرارها، ومعرفة عادات العرب، ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، زيادة على قوة فهمهم وسعة إدراكهم ، ومن مميزات التفسير في هذه المرحلة ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية نظراً لإتحادهم في العقيدة . ثم جاء التابعون واتبعوا نفس الأسس السابقة إلا انه قد ظهر فيهم من يعمل عقله في تفسير بعض الآيات ودخلت في التفاسير كثير من الاسرائيليات والنصرانيات .

و تلى ذلك عهد التدوين للتفسير في بداية العهد الأموي . وفي العهد العباسي دونت تفاسير اختلط فيها الفهم العقلي بالتفسير النقلي حتى كاد يقتصر تفسير من برع في فن من فنون العلم على العلم الذي برع فيه، فصاحب النحو تراه لا همّ له إلا الإعراب ، وصاحب العلوم العقلية تراه يعنى في تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة كالفخر الرازي .

واعتمدت التفاسير المأثورة الموجودة حالياً كجامع البيان في تفسير القرآن للطبري ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير لما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته وما نقل عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم) وما نقل عن الصحابة والتابعين . وقد كان الطبري لا يؤيد المفسرين برأيهم . والمراد بالرأي الإجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومعرفته للألفاظ العربية ووجود دلالاتها ووقوفه على أسباب النزول ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن" .

وقد اختلف العلماء من قديم الزمان في جواز التفسير بالرأي ووقف المفسرون إزاء هذا الموضوع موقفين متعارضين :

- **الأول** : لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن وإنّ كان عالماً أديباً متسعاً في معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار، وإنما له أنّ ينتهي لما روي عن النبي (صلي الله عليه وسلم) وعن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة رضى الله عنهم، أو من الذين اخذوا عنهم من التابعين . ودليلهم على ذلك قول الله تعالى في سورة الإسراء (ولا تقف ما ليس لك به علم) وقول رسول الله (صلي الله عليه وسلم) **"من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ "**[1] .

- **الثاني** : جواز التفسير بالاجتهاد لقول الله تعالى :

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها) [محمد آية:24]، وقوله (ولو ردوه إلى الرسول والى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) [النساء آية: 8] ، وأنّ النبي (صلي الله عليه وسلم) قد دعا لابن عباس فقال: **"اللهم فقهه في الدين وعلِّمه التأويل"**.

والرأي المأخوذ به أنّ الجمود على المنقول تقصير وتفريط والخوض في التفسير لكل انسان غلو وافراط .

وقد اشترط العلماء لمن يريد أنّ يفسِّر برأيه أنّ يكون ملماً بالعلوم الآتية :

---

[1] رواه الترمذي.

اللغة والنحو الصرف والإشتقاق وعلوم البلاغة والقصص والناسخ والمنسوخ والأحاديث المبينة للتفسير والموهبة ، ومن أمثلة التفاسير بالرأي الجائز "مفاتيح الغيب" للفخر الرازي، وتفسير " الجلالين" .

وقد بدأ التفسير العلمي للقرآن من قديم الزمان وهو التفسير الذي يحكم الإصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية وكان منهم الغزالي وجلال الدين السِّيوطي ، و أضاف المؤلف بأنّ العلوم متغيّرة ، ويقين اليوم العلمي قد يدخله الشك في المستقبل بسبب تطور النظريات، وحسب القرآن أنّه يمكن التوفيق بينه وبين ماجدَّ وما يجد من نظريات وقوانين علمية. ومن التفاسير العلمية تفسير الشيخ طنطاوي جوهري " 1870 – 1940" "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" حيث عني المؤلف بإظهار الظواهر الكونية والعلمية بالتفصيل على حسب ما ظهر في زمانه من علوم و أراد بذلك لفت الأنظار للكم الهائل من الآيات الكونية "سبعمائة"، ولم يجد تفسيره القبول من الكثيرين . وربما في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن" [1] نجد البعد عن الغلو في الجانبين حيث نجد الكاتب رحمه الله استند على المأثور وأخذ من الرأي المقبول بغير أنّ يجزم بمراد الله(تعالي) من آياته .

وكان لذكر هذا أهمية كبيرة في موضوعنا هذا حيث يتبيَّن لنا الطريق في استعمال آيات القرآن بالصورة الجائزة ونسأل الله ان يهدينا سواء السبيل فيما أردنا إيضاحه من الحجج القرآنية .

الإلحاد و الداروينية :-

تنتسب الحركة الفكرية الداروينية الى الباحث الإنجليزي تشارلز داروين [1] [2] الذي صاحب رحلة السفينة "بيقل" من سنة 1831 إلي 1836 م كعالم طبيعة مما أتاح له الفرصة لمراقبة الأحياء المختلفة في الماء واليابسة وكان نتاج ذلك كتابه "أصل الأنواع" الذي صدر في عام 1859م الذي طرح فيه نظريته في النشوء والإرتقاء معتبراً أنّ أصل الحياة كان خلية في مستنقع آسن قبل ملايين السنين ، أي أنّ منشأ الحياة كان في الماء حيث تكونت الخلية الأولى ثم تطورت لكائنات ذات خلايا متعددة واستمرت في التطور من أحياء صغيرة إلى أكبر وخرجت من الماء وبدأت تقفز ثم تكونت لها أرجل ولبعضها أجنحة حتى ظهر الإنسان على الأرض . وتفترض هذه النظرية الآتي :

1- أصل كل الأحياء من الماء.
2- بدأت الحياة بتكوين خلية ذات تركيب سهل ثم أرتقت في تكوينها لتكون الكائنات الأخرى .
3- أنّ الأنواع المختلفة جميعها من منشأ واحد.
4- استمرارية الحياة وتطورها اعتمد على التنافس من أجل الحياة وكان البقاء للأحسن تبعاً للاختيار الطبيعي "Natural Selection" معتمداً في ذلك على نظرية مالتوس في التطور السكاني .
5- الفروق الفردية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب.

---

[1] سيد قطب: تفسير القران العظيم .

[1] الموسوعة المُيسَّرة في الأديان والمذاهِب المعاصِرة ، ص 211 .

[2] موريس بكاي : ما هو أصل الإنسان ،ص 34 .

6- الطبيعة تعطي وتحرم بخبط عشواء .

وفكرة التطور هذه قد سبقه عليها العالم الفرنسي مارك بخمسين عاماً ، وربما كانت بدايات التفكير فيها منذ القرن السادس الميلادي . ووجد داروين دعماً يهودياً لنشر نظريته ، ورغم أنّ داروين لم يكفر بوجود الله إلا أنّ نظريته كما علَّق عليها العالم الفرنسي قريس " هي أكبر النظريات المادية المضادة للدِّين. كما أنّ داروين لم يقل بأنّ أصل الإنسان قرد بل هي فكرة عالم آخر يدعى هيقل أدخلها في عام 1868 . ووجد كارل ماركس في كل هذا ضالته لينفي وجود الله عز وجل ويفسِّر كل الكون على المادية المعتمدة على الكفر بالله .

وقد وجدت هذه النظرية رواجاً في أوربا المسيحية أيضاً نسبة لانفكاك الناس من سلطان الكنيسة في ذلك القرن ولتضارب آراء الكنيسة الدينية مع بعض الأساسيات العلمية. وقد تعرّضت هذه النظرية لكثير من النقد العلمي مما حذا بمروّجيها للتغيير فيها وإدخال قانون الطفرات"Mutation" لتفسير تطور الأنواع المختلفة ، كما أُرغموا على الاعتراف بوجود أصول عدة للأنواع المختلفة .

إنّ أسوأ ما تمخضت عنه هذه النظرية هو استعمالها في إنكار وجود الخالق ، ورغم انحسار الإقتناع بها إلا أنّ معظم علماء العلوم الأوربية وتابعيهم قد اتخذوها ديناً لا يقبل النقاش وإنّ التخلي عنها يعني بالنسبة لهم قبول ما رفضوه أولاً وهو وجود الله (تعالي)، وكتاب الأحياء الجزيئية المرجِع الأساس في الجامعات الأوربية يعتمد على النظرية في تفسير الظواهر الصحية في الإنسان ويسب الإنجيل والتوراة في مُقدِّمته ، كما أنَّ البديل لرفض النظرية هو قبول مبدأ الخالِق كما قال أحدهم "إنَّ نظرية النُّشوء والإرتقاء غير ثابِتة علمياً ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان ، ونحن لا نؤمن بها إلا أنَّ الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص المباشِر" [1] و الناظِر للنظرية بتجرُّد يجد أنّها مجهود جبار في البحث والإستنباط . فإقراره بأنّ أصل الأحياء الماء أمر فيه كثير من الصحة ، إذ أنّ الماء يعني الحياة في كوكبنا ورغم أنّ كل الأحياء يمثل جزءاً كبيراً من تركيبها " 60% من الإنسان" ولكن لا يعني هذا بأنها كلها نشأت في الماء.

وقد أخبرنا المولى عز وجل بذلك : (وجعلنا من الماء كل شي حي) [الأنبياء آية: 30](والله خلق كل دابة من ماء) [النور آية: 45] (ألم نخلقكم من ماء مهين) [المرسلات آية: 20].

والفرق واضح بأنّ الأمر ليس تطوراً بل خلق . كما أنّ إقراره بأنّ أصل الأحياء خلية واحدة فيه أيضاً جانب من الصحة ، إذ ليس كل الأحياء أصلها خلية واحدة ، بل أصل كل نوع خلية واحدة ، فالإنسان يبدأ بخلية واحدة من تلقيح البويضة بالحيوان المنوي ولا يحتاج الأمر لأكثر من تسعة أشهر وعشرة أيام ليتكوّن إنسان آخر ، أي بمعنى أنّه بطريقة تواجده هذه من خلية واحدة لم يحتاج لملايين السنين وهذا زيادة في الإعجاز . ويجب ألا يستهان بأمر الخلية .. فالسؤال الأساسي كيف تكونت الخلية ، فالناظر للخلية وطريقة تركيبها وعملها ، بداية من نواتها والجينات التي بها وصناعة البروتينات وانتقالها ، وتنظيم الكهارل وتنظيم عمل الغشاء والمحافظة على مكوناتها بالطرق الموزونة المختلفة ونهاية

---

[1] عبيد السيد الزبير :كِتاب الإيمان بين العلم والقُرآن ، ص 39 .

بانقسامها ، يجد أنّ التحدي في تكوين الخلية ، وليس في تكوين الحيوان من الخلية ، ومع ما يحدث الآن من تلقيح خارجي للبويضات قد يأتي اليوم الذي توضع فيه البويضة الملقحة خارج رحم المرأة لتنتج بشراً آخر ، وحتى الاستنساخ بدأ بخلية من جسم الحيوان . وكل التفسيرات التي وضعت لتفسير بداية الخلية وجيناتها أمر افتراضي خيالي لا غير وقد كان تحدي المولى عز وجل ليس في خلق الإنسان فقط بل في أساس خلق الإنسان من خلية :(أفرأيتم ماتمنون ، أأنتم تخلقونه ام نحن الخالقون) [الواقعة آية: 58-59].

والحديث عن تطور الخلية الأحادية ، للمتعددة ثم للأحياء المختلفة أمر افتراضي اعتمد على تفسير ظاهر الموجود مع اكتشافات الحفريات ومعرفة تاريخها ، فقد وجدت الخلايا الأحادية قبل بليون عام أو اكثر ، وظهرت اللافقاريات قبل "600-500" مليون سنة مع الديدان والحشرات ، وبدأت الفقاريات في الظهور قبل 450 مليون سنة ومثلها الأسماك ، وظهرت الفقاريات البرية قبل 350 مليون سنة ، وظهرت الثديات قبل 180 مليون سنة والطيور قبل 135 مليون سنة ، و أول إنسان قبل حوالي 6 مليون سنة على حسب ماذكر في نتائج حفرياتهم . وحالياً في عالم الحيوانات فقط يوجد حوالي 1.5 مليون نوع [1]. وبلا شك فإنّ الخلايا الأحادية مازالت موجودة حتى الآن كالباكتريا من غير أن نرى لها تطوراً ، وأنّ هنالك من الأحياء ماهو موجود بصورته التي وجد بها في سحيق الزمان وهذه المعلومات يمكن أن يستنبط منها بالتأكيد بأن الحيوانات في الأرض لم تظهر دفعة واحدة بكل أنواعها ، وقد قال المولى عز وجل (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ، إنّ الله على كل شئ قدير) [العنكبوت آية: 20].

ولكن لا يمكن أن نستنتج من غير برهان بأنّ الأنواع الأخيرة كانت نتاج تطور الأنواع الأولى بالطفرات والصدفة بدليل تواجد الأحياء ذات الخلايا الواحدة حتى يومنا هذا.

وقانون الاختيار الطبيعي أمر يرفضه الواقع إذ أنّ التنافس قد يكون بين النوع الواحد فمثلاً لا توجد علاقة بين غذاء النباتات وغذاء الحيوانات ولا علاقة بين غذاء معظم الحشرات وغذاء الإنسان فعلام التنافس إذن؟ ! وقد أوضح موريس بكاي بأنّ الغلبة ليست دائماً للأقوى فقد يقتل الحيوان الضعيف الحيوان القوي وقد يتزاوج القوي مع أضعف الإناث وفي كل الأحوال فقد أثبت بأنّ أحياء النوع الواحد على حسب جيناتها لا يمكن أنّ تتحول لنوع آخر بالسهولة الموضوعة بها نظرية الطفرات ، حيث إنّ التغييرات الطبيعية الناتجة في الأفراد في الغالب لا تنتقل للأبناء ولا يمكن لعاقل أن يتخيل بأن كل هذا النظام الكوني قد كان نتاج الصدفة وخبط عشواء .

وما يهمنا هنا ليس إثبات النظرية أو دحضها ، فستأتي نظريات وتذهب أُخر ولكن المهم في الأمر استعمال هذه النظرية أو غيرها في نفي وجود الخالق عز وجل . وتكليفنا بحمل الرسالة للناس كافة يحتم علينا التفكُّر فيها إذ بسببها سيهلك كثير من الناس في عذاب جهنم وقد كان هم رسول الله (صلي الله عليه وسلم) إنقاذ الناس من النار .

---

[1] موريس بكاي : ما هو أصل الإنسان ، ص 28 .

وقد تصدى كثير من المسيحيين لهذه النظرية ورفضوها ، وتصدى لها بعض المسلمين منهم مالك بن نبي[1] ووحيد الدين خان [2] والشهيد سيد قطب ، وقد تحدث عنها الشهيد سيد قطب في كتابه خصائص التصور الإسلامي ومقوماته فقال " ولكن السادة الوضعيين حين كفروا بإله الكنيسة ثم كفروا بإله العقل لم يذهبوا لما هو أهدى .. لقد أقاموا من الطبيعة إلهاً .. ولكن ماهي هذه الطبيعة ، ما هي هذه الطبيعة التي خلقت "العقل" والتي كما يقولون " تنقش الحقيقة في العقل " ؟ أهي كائن محدد ؟ أهي ذات كلية ؟ أم هي هذه الأشياء المتفرقة من أجرام وأشكال وحركات وهيئات ؟ ؛ أهي شئ له حقيقة مستقلة عن تصور العقل الإنساني لها ؟؛ أم هي الصورة التي تنطبع في العقل عن المحسوسات التي يدركها ؟؛ أهي شئ له حقيقة في ذاته؟؛ وماينطبق في العقل قد يطابق حقيقتها وقد لا يطابقها ؟ " وإذا كانت هذه الطبيعة قد خلقت العقل البشري فهل هي "خالق" له إيجابية الخلق من العدم ؟ ولماذا إذن خلقت العقل في الإنسان ولم تخلقه في الحيوان أو النبات ؟ أهي ذات إرادة مميزة مختارة ؟ تختار كائن بعينه من الكائنات لتمنحه هذه المنحة الفريدة ؟ أم إذا كانت حقيقتها لا تنجلي إلا في الفكر البشري أفلا يكون ظهور هذه الحقيقة إذن متوقفاً على وجود العقل البشري ؟ فكيف تكون هذه الطبيعة خالقة له بينما هي لا تظهر إلا فيه ؟.

وكل هذه التساؤلات بنيت على أساس أنّ من يؤمنون بوجود الإنسان نتاج الطبيعة قد جعلوا منها إلهاً .. وهم لم يفعلوا .. وقد جنحوا لتفسير مبدأ الخلق بالطبيعة هروباً من الإقرار بوجود خالق ذي عقل وكينونة ، ثم يضعون عقولهم بعد ذلك فوق الطبيعة ومتحكمة في متغيراتها .

القرآن والخالق

إنَّ المتدبر لكلام المولى عز وجل يجد أنّه قد خاطب عقول الناس بكل مستوياتها حيث لفت أنظارهم لأمور عامة مرئية أمامهم ، تنطبق تفاصيلها على كل خصوصيات الحياة ويكون كل جديد من العلم فيها زيادة في تفاصيل إعجازها حتى يستمر المثل المذكور في القرن السابع الميلادي يحمل نفس مقدرات الإعجاز في كل الأزمان . وهذه حكمة المولى عز وجل ولو أراد للناس ألا يُعمِلوا عقولهم لفعل ولما كان لنا الاختيار بمشيئته ، ولكنه عز وجل اختار لنا منهج الاختيار ووهبنا الأفئدة وأرسل لنا الرسل مبشرين ومنذرين ، ووجه رسوله (صلي الله عليه وسلم) بأن يجاهد بالقرآن (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً) [الفرقان آية : 52].

فإذا نظرنا للآيات الخاصة بالدعوة لله (تعالي) نجد أنّ معظمها يقيم الحجة على كل من ينكر وجود الخالق سواء اعتمد في ذلك على النظرية الداروينية أم لا؛ وقد أذهل الغرب بعض المسلمين بتفوقه المادي وراحوا يحاولون التوفيق

---

[1] الظاهِرة القُرآنية.

[2] وحيد الدين خان :الإسلام يتحدى ، مدخل علمي إلى الإيمان .

بين النظرية وبعض الآيات القرآنية [1] [2] [3] مثل ماورد في سورة نوح (مالكم لاترجون لله وقاراً ، وقد خلقكم أطواراً ، ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً ، وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً ، والله أنبتكم من الأرض نباتاً) [نوح آية: 13-17] فتمسكوا بقوله عز وجل " أطواراً" على أنه يعني التطور ، وغاب عنهم أساس الخلاف بأن الله سبحانه وتعالى قد قال "خلقكم" أي بقدرته وحكمته أوجدنا من العدم في أطوار من نطفة لعلقة لمضغة حتى يكتمل تكوين الإنسان .

وقد حاول د. كريم الدين حسنين التوفيق بين ما هو مُشاهد من حقائِق علمية وما هو غير معروف مطلقاً في تفسيره لآيات سورة [العنكبوت آية :19-20] (أولم يروا كيف يُبديء الله الخلق ثُم يُعيده إنَّ ذلك على الله يسير ، وقُل سيروا في الأرضِ فأنظروا كيف بدأ الخلق ثُم الله يُنشيء النشأة الأخِرة إنَّ الله على كُل شيئٍ قدير) حيث أشار إلى أنَّ البدء المُطلق للخلق أمر لم يشهده الله لأحد من خلقِه بينما عملية النشوء أو النشوئية كما سماها فهي ما خاطبنا فيه الله ب(أولم يروا كيف يُبديء...) وفسَّرها بعملية التطوُّر والنشوء بطريقة متطورة الإبداء ثم الإعادة أي النشوئية والتي توافق نظرية التطوُّر الداروينية ، أما خلق الإنسان فيدخُل في نِطاق مُطلق القُدرة الإلهية الذي لا يرتبِط بالتطوُّر (ثُم اللهُ يُنشيء النشأة الآخِرة...)[4] .

والداروينية تنكر وجود مدبر لحركة التطوُّر ، والأهم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى لو أراد لنا أنْ نوجد في هذا الكون بطريقة التطوُّر لفعل ولكنه خلق آدم ومنه حواء وجعل منهما ذرية البشر . وقد كان من قدرته أن عكس مجرى النظرية فجعل من بعض البشر قردة وخنازير (قل هل أُنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القِردة والخنازير وعبد الطاغوت أُولئك شرٌّ مكاناً وأضل عن سواء السبيـــل) [المائدة آية: 60]، (فلما عتو عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) [الأعراف آية:166].

فالأمر الأساسي الذي يهمنا ليس التطور وإنما إنكار الخالق باستعمال النظرية أو غيرها . وسنحاول أن نتفكَّر في بعض الحجج والظواهِر التي بيَّنها المولى عز وجل في قرآنه الكريم بالخطوات الآتية : -

1- ذكر الظاهِرة .
2- عرض مُعظم الآيات القُرآنية التي ذُكِرت فيها الظاهِرة كحُجة وذلك حتى يتبين أهميتها .
3- تفسير إحدى الآيات التي تؤكِّد الظاهِرة من أحد التفاسير المأثورة "ابن كثير" ثُم ذِكر تفسيرها من ظِلال القُرآن .
4- محاولة تحليل الظاهِرة كحُجة علمية كدليل على وجود الخالِق.

---

[1] الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهِب المعاصِرة ، ص 217 .
[2] مُخلِص إدريس وعلي موسى : الكون والحياة: من العدم حتى ظهور الإنسان .
[3] محمد شحرور : الكِتاب والقُرآن ، قراءة مُعاصِرة.
[4] د. كريم حسنين : الخلق بين العنكبوتية والداروينية والحقيقة القُرآنية ، ص 263 ، 2001 .

(سنُريهِم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفُسِهم حتى يتبيَّن لهُم أنّه الحق أو لم يكفِ بِربِك أنّه على كلِ شيءٍ شهيد) [فصلت آية: 53].

1/ الذكر والأنثى :

1. (يأيُها الناسُ إن كنتُم في ريبٍ من البعثِ فإنّا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مخلَّقةٍ وغيرِ مخلَّقةٍ لنُبين لكم ونُقِرُ في الأرحامِ ما نشاءُ إلى أجلٍ مسمى ثم نُخرِجكم طِفلاً ثُم لِتبلُغُوا أشُدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج) [الحج آية: 5].
2. (أولم يروا إلى الأرض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم) [الشعراء آية: 7].
3. (وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) [لقمان آية :10].
4. (وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) [ق آية:7].
5. (يأيها الناس أتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) [النساء آية :1].
6. (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) [المؤمنون آية :27].
7. (ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) [الذاريات آية :49].
8. (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) [النجم آية: 45].
9. (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى□)□[القيامة آية :39].
10. (والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون) [الزخرف آية: 12].
11. (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) [طه آية: 53].
12. (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً) [الشورى آية:11].
13. (وخلقناكم أزواجاً) [النبأ آية: 8].

وقال المولى عز وجل في سورة يس : :36

14.(سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وورد في تفسير ابن كثير [1] (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) أي من زروع وثمار ونبات (ومن أنفسهم) فجعلهم ذكر وأنثى (ومما لا يعلمون) أي من مخلوقات شتى لا يعرفونها وفي ظلال القرآن [2] ورد الآتي :

" ويلتفت عنهم بعد هذه اللمسة الرقيقة ليسبح الله الذي أطلع لهم النبت والجنان وجعل الزرع أزواجاً ذكراناً وإناثاً كالناس وكغيرهم من خلق الله الذي لا يعلمه سواه . وهذه التسبيحة تنطلق في أوانها وفي موضعها وترتسم معها حقيقة ضخمة من حقائق هذا الوجود ، حقيقة وحدة الخلق ، وحدة القاعدة والتكوين فقد خلق الله الأحياء أزواجاً، النبات فيها كالإنسان ومثل ذلك غيرهما " مما لا يعلمون " وإنّ هذه الوحدة لتشي بوحدة اليد المُبدِعة التي توجد قاعدة التكوين مع اختلاف الأشكال والأحجام والأنواع والأجناس والخصائص والسِّمات في هذه الأحياء التي لا يعلم علمها إلا الله ، ومن يدري فربما كانت هذه قاعدة الكون كله حتى الجماد".

والناظر لهذا الكم من الآيات التي يقرِّر فيها المولى عز وجل حقيقة مرئية لنا من أنفسنا وربما لا نراها في بعض خلقه وهي أنه أمامنا ذكر وأنثى من كل حي يجعلنا نتساءل إذا كان المولى عز وجل قد ذكر هذه الآيات كدلالة على الخلق وبالتالي وجود الخالق ، فما يد القدرة الدالة على الخالق في ذلك ؟ .

وحملت هذا السؤال للكمبيوتر بجامعة مانشستر أبحث عن تفسير وجود الذكر والأنثى على الأرض وفقاً لنظرية التطور وفي كل المراجع التي وجدتها لا يوجد أي تفسير ، إلا تفسير واحد وهو افتراض يدعو للسخرية فقد تخيَّل الكاتب بأنه في مبدأ الكون كانت هنالك خلايا صغيرة وأخرى كبيرة ، وفي سبيل البحث عن الغذاء اخترقت الخلايا الصغيرة الخلايا الكبيرة وبدأ التزاوج ، ولا يوجد تفسير لما تلى هذه الخطوة الخيالية التي لا برهان عليها البته ، أي بمعنى أنّ وجود الذكر والأنثى معضلة لا يمكن حلها بنظرية التطور أو بأي خيال آخر لأنّ المعنى البسيط لوجود الذكر والأنثى واختلاف طرق التناسل في الحيوانات المختلفة والنباتات يحتم وجود مبرمج ومخطط يعرف نهايات الأشياء الناتجة منذ بدايتها ، ويعلم أنّ استمرارية النوع يتطلب توالده فجعل له زوجاً مكملاً ليتم التناسل بطريقة معينة ينتج عنها أحياء جدد . وبالطبع فإنّ ذلك لا مجال للصدفة فيه بقدرة الخالق ، فكان حقاً أنّ يقول (سبحان الذي خلق الأزواج كلها) .

وربما يتسآءل أحدهم : فما بال الباكتريا تنقسم ؟ والإجابة البسيطة : وهل ندري كل شئ عن الباكتريا حتى نقر بأنّه ليس فيها الذكر والأنثى ؟. وقد حدثني محاضر في علم الباكتريا بأنه في البحث عن أسباب انتقال صفات الباكتريا المضادة للمضادات الحيوية لبعضها البعض وجد بأنه ينطلق من الباكتريا نتوء ليلتصق بالباكتريا الأخرى ثم تنتقل المعلومات بينهم "Conjugation " ولربما كان ذلك بداية اكتشاف الأزواج في الأحياء أحادية الخلايا.

---

[1] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، المجلد الثاني ، ص 700 .

[2] في ظِلال القُرآن ، الجُزء الخامِس ، ص 2967 .

إنّ المولى عز وجل يوضح لكل الناس بأنّه من ينكر وجود الخالق فليفسر لنا وجود الأزواج في هذه الأرض.(بل نقذف بالحق على الباطل فيدفعه فاذا هو زاهق) [الأنبياء آية :18]، والله أعلم بما يريد في آياته.

2- الرزق : الغذاء

1. (الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم) [الروم آية:40].
2. (وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات) [غافر آية :64].
3. (أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض) [النمل آية:64].
4. (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) [العنكبوت آية: 60].
5. (ويعبِدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً) [النحل آية: 73].
6. (وفي السَّماء رزقكم وماتوعدون) [الذاريات آية: 22].
7. (إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [الذاريات آية: 58].

وقد قال المولى عز وجل في سورة [هود آية : 6].

8. (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين).

وفُسِّرت في تفسير ابن كثير [1] بأنّ الله (تعالي) قد أخبر بأنّه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض صغيرها وكبيرها وأنه يعلم مستقرها أي يعلم أين منتهى سيرها في الأرض وأين تأوي إليه من وكرها وهو مستودعها .

وقال صاحب الظلال [1] " وهذه صورة أخرى من صور العلم الشامل المرهوب، هذه الدواب وكل ما تحرك على الأرض فهو دابة من إنسان وحيوان وزاحفة وهامة ، ما من دابة من هذه الدواب التي تملأ وجه البسيطة وتكمن في باطنها وتخفى في دروبها ومساربها ، ما من دابة من هذه الدواب التي لا يحيط بها حصر ولا يكاد يلم بها احصاء إلا وعند الله علمها وعليه رزقها وهي تعلم أين تستقر وأين تكمن ، من أين تجئ وأين تذهب، ويزيد على مجرد العلم تقدير الرزق لكل فرد من أفراد هذا الحشد الذي يعجز عن تصوره الخيال حتى أنّ بعضها يتناول رزقه دماً حياً مهضوماً كالبعوضة والبرغوث ".

إنّ أنواع الأغذية المختلفة باختلاف أنواع الأحياء أمر يدعو للدهشة والتساؤل : كيف كان لكل هذه الأحياء أن يتوفر لها الغذاء المناسب ؟ قال تعالـى (والأرض مددناها وألقينا فيها رواسيّ وأنبتنا فيها من كُل شيئٍ موزون) [الحجر آية:19] ، والنباتات تتغذى بالتمثيل الضوئي ومحاليل الأرض ، و الحيوانات تتغذى على النباتات واللحوم ، والطيور

---

[1] تفسير إبن كثير المُجلد الثاني ، ص 538 .

[1] في ظِلال القُرآن الجُزء الرابع ، ص 1856 .

بعضها يتغذى على النباتات وبعضها على اللحوم، والحشرات بعضها يتغذى على الرحيق وعصارات النباتات وبقايا أكل الإنسان وبعضها يتغذى على الدماء ! فإذا كان الغذاء الأول للخلايا الأولى من الوفرة بحيث أنها تكون خلايا متعددة فلم التنافس إذن ؟ وإذا كان كل نوع غذاؤه يختلف عن الآخر ، فكيف علمت الخلية التي ستنتهي لنبات بأنّ غذاءها سيكون متوفراً ، والتي ستنتهي لضفدعة بأن الحشرات ستكون متوفرة لها ؟ إنّ هذا أمر يستحيل حدوثه بالصدفة والتنافس وانما يتطلب مدبّراً يعرف بأنّ وجود النحلة يستدعي وجود غذاء لها ، ووجود الزهور يستدعي وجود غذاء مختلف ، ووجود الغذاء للجميع يحتاج لمكونات وأساسيات يجب توفرها في الأرض والسماء مثل الماء والكربون والأكسجين . فلذلك ذكر المولى عز وجل آيات الرزق كدليل واضح على قدرته ، وعلى أنّ هذا النظام يستدعي وجود خالق .. (الله الذي خلقكم ثم رزقكم) .

وقد يختلف الغذاء حتى في النوع الواحد وبين الذكر والأنثى وهذا مانراه في أمر البعوض فإنّ أنثى البعوض تتغذى على الدم بينما الذكر يتغذى من الزهور! رغم أنّ بيضة البعوضة توضع في الماء وتكون حتى اكتمال نموها ذات غذاء واحد .. كما نجد بأن انثى البعوض لها تركيب فمي يمكنها من غرز خرطومها في جلد الإنسان أو الحيوان بينما ينعدم ذلك عند الذكر .. فكيف حدث ان الظروف الطبيعية الواحدة انتجت احياء ذات طرق غذائية مختلفة في النوع الواحد ؟ ولذلك ماكان لله ان يستحي أنّ يضرب مثلاً بالبعوضة (إنّ الله لا يستحي أنّ يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلاّ الفاسقين) [البقرة آية: 26].

والنباتات رغم أنواعها المتعددة إلا أن غذاءها في معظم الأحوال واحـد.(إنّ الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأني تؤفكـــرون) [الأنعام آية : 95]،(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) [الأنعام: 141] ،(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون) [الرعد آية :4]

وحتى النوع المسقي بالماء الواحد ينتج أشكالاً مختلفة .. فكيف يفسر ذلك من غير خالق؟.

ثم لماذا كل هذا الجمال في الزهور والخضرة في الأشجار .. (من كل زوج بهيج) .. وإلى أي مغزى يتجه التطور بالنواحي الجمالية في النباتات .. التناسل .. أمر يحدث في الصبار كما يحدث في الزهور .. وحتى لو كان لهذا السبب فمن أدرى الزهور بأنها ستجذب النحل ؟؛ وهل كانت الزهور حين كانت خلية واحدة تعلم بما سيحيط بها ؟ إنّه بلا شك صنع العزيز القدير .

3/ الحياة والموت :

1.(وإنّه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيا) [النجم آية :14].

2.(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) [البقرة آية :28].

3.(إنّ الذي أحياها لمحي الموتى انه على كل شئ قدير) [فصلت آية :39].

4. (وأنّا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون) [الحجر آية: 23].

5.(أنّا نحن نحيي ونميت والينا المصير) [ق آية: 43].

6.(أنّا نحن نحيي الموتي ونكتب ماقدموا وآثارهم) [يس آية: 12].

7.(والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) [آل عمران آية: 56].

8.(الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) [الملك آية:2].

9.(لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله) [الأعراف آية: 158].

10.(ان الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) [التوبة آية: 116].

11.(هو يحيي ويميت واليه ترجعون) [يونس آية: 56].

12.(ذلك بأن الله هو الحق وانه يحيي ويميت) [الحج آية: 6].

13.(وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار) [المؤمنون آية: 80].

14.(هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون) [غافر آية: 68].

15.(لا اله إلّا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) [الدخان آية: 8].

16.(له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) [الحديد آية: 2].

17.(يحييكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) [البقرة آية :28].

18.(وجعلنا من الماء كل شئ حي) [الأنبياء آية: 30].

19.(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها) [الروم آية: 19] ، وقال تعالى في سورة البقرة الآية: 258:

20.(ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا أحيي وأميت قال ابراهيم فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين).

وقد ورد في تفسير ابن كثير [1] " (ربي الذي يحيي ويميت) أي إنما الدليل على وجوده حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها ، وعدمها بعد وجودها ، وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لم تحدث بنفسها فلا بد لها من موجد أوجدها وهو الرب الذي ادعو إلى عبادته وحده لا شريك له ".

وقال صاحب الظلال في نفس الآية [2] " والإحياء والإماتة هما الظاهرتان المكررتان في كل لحظة المعروضتان لحس الإنسان وعقله وهما في الوقت نفسه السِّر الذي يحيِّر والذي يلجئ الإدراك البشري إلجاءً إلى مصدر آخر غير جدِّي وإلى أمر غير أمر المخاليق ولا بد من الإلتجاء الى الألوهية القادرة على الإنشاء والإفناء لحل هذا اللُّغز الذي يعجز عنه كل الأحياء ".

وقد حدث أنّ دار نقاش مع فتاة انجليزية عن العقائد فقالت بأنّها لا تؤمن بوجود خالق وإنما هي حياتها الدنيا وتريد أنّ تعيشها بمطالبها ، فقلت لها سؤالاً بسيطاً لو استطعت أن تجيبي عليه يمكنك أن تعيشي حياتك كما تشائين فقالت ما هو ؟ فقلت لها: أين كنت قبل أربعين عاماً .. وأين ستذهبين بعد الموت ؟ فقالت : لا أدري فقلت لها ألا يدعوك هذا للتفكُّر في ماهية الحياة .. وكيف أنت الآن حية .. ولم تموتين ؟ فقالت لا يهمني كثيراً .. فقلت لها : ولكن يهمني أنا أمرك لأنني أعلم أين كنت وإلى أين ستذهبين وحينها رأيت الحيرة والإضطراب عليها .. فأضفت لم لا تعطين لهذا الأمر قدره من التفكير .. وإن توصلتِ بأن هذه الحياة لا بد لها من واهب فتذكري بأنّ الإسلام هو طريق النجاة .. وهذه نفس الحجة إن الله يحيي ويميت .. أمر اختص به ولا أحد يشاركه فيه .

وإذا نظرنا للخلايا .. نجد أنّ تجمُّعها في أعضاء وأحياء لا يعني البته بأنها ستكون كائناً حياً رغم حياة الخلايا ، فبعث الحياة في الكائن الحي مختلف تماماً عن حياة الخلايا .. ويتضح هذا في نقل الأعضاء ، فنجد إنساناً يعيش بقلب رجل آخر متوفي .. فقلب المتوفي مازال يعمل كخلايا وعضو والقول بأنّ تطور الأحياء كان من خلايا لايمكن أنّ يحدث إلاّ أنّ تبعث فيه الحياة ، ولا يمكن أنّ تفسر إلا بوجود قوة أخرى غير مادية .. وأمر الموت أعجب، فلو قارنت بين ميت وحي بقربه لن تتمكن أنّ تعرف كيف مات هذا وما مصدر حياة الآخر .. وعلى حسب نظرية الإختيار الطبيعي فان البقاء للأقوى .. ولكن القوي قد يموت قبل الضعيف، أي بمعنى أنّ فناء الخلايا لا يقترن بصحتها فقط ، إنما بوجود قوة غير مادية بداخل ذلك الحي . أليس هذا بدليلٍ كافٍ بأنّ أمر الحياة والموت لا يقتصر على مادة الأبدان فقط ؟ وأليس هذا بدليل أنّ الحياة والموت من أمر الحي القيوم ؟ ولله العزة والجلال .

4- الطير

1.(ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء) [النحل آية: 79].

2.(وسخرنا مع داؤود الجبال يسبحن والطير) [الأنبياء آية: 79].

---

[1] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير المُجلد الأول ، ص 388 .

[2] في ظِلال القُرآن ، الجُزء الأول ، ص 297 .

3.(ألم تر أنّ الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) [النور آية: 41].

4.(وورث سليمان داؤود وقال ياأيها النَّاس عُلمنَّا منطق الطّير) [النمل آية: 16].

5.(وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطّير) [النمل آية: 17].

6.(وتفقَّد الطّير فقال مال لا أرى الهدهد) [النمل آية: 20].

7.(ولقد آتينا داؤود منا فضلاً ياجبال أوّبي معه والطير) [سبأ آية: 10].

8.(والطّير محشورة كل له أوّاب) [ص آية: 19].

وقال تعالى في سورة الملك الآية: 19:

9.(أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلاّ الرّحمن إنّه بكل شئ بصير)

وورد في تفسير ابن كثير [1] : " أي تارة يصففن أجنحتهن في الهواء وتارة تجمع جناحاً وتنشر جناحاً " مايمسكهن" أي في الجو "إلا الرحمن" أي بما سخر لهن من رحمته ولطفه ".

وقال صاحب الظلال [2] في الآية " وهذه الخارقة التي تقع في كل لحظة تنسينا بوقوعها المتكرر ما تشي به من القدرة والعظمة ولكن تأمل هذا الطير وهو يصف جناحيه ويفردهما ثم يقبضهما ويضمهما وهو في الحالين يظل في الهواء والرحمن يمسكهن بنواميس الوجود المتناسقة ".

الناظر لهذه الآيات يستنتج بأنّ الطَّير أمة مثلنا ومثل كل أمم الأحياء وإنّهم يسبحون ويعبدون الله وأنّ لهم لغة عّلمها الله عز وجل لسليمان ()عليه السلام. وهذه حقائق تصديقها يستدعى الإيمان بالله .. والباحث في تطور الطيور يجد خيالاً لا سند له فإذا كان تطور الخلية مقروناً بوجود الغذاء لها فما الحاجة لأن يطير المسافات الخيالية ، ولماذا نجد كل هذا الاختلاف في الأشكال والأنواع بين النعام و العصافير والنسور .. كلها طيور وغذاؤها يختلف وشكلها يختلف وحجمها يختلف .. ثم لم الهجرة من مكان لآخر ، وكيف تعرف طريقها ذاهبة وآتية؟ وفي طائر_"الموتون" كما ذكر موريس بكاي [1] أمر يستدعى التعجب فهو طائر يوجد باستراليا .. ويبدأ هجرته من ساحل استراليا ويتجه شرقاً في الباسفيك ويلتف حول شاطئ اليابان وبعد راحة قليلة في إحدى الجزر يتجه جنوباً إلى الشاطئ الغربي لأمريكا حتى يصل كلفورنيا ومن هناك ينطلق حتى يرجع الى استراليا .. في رحلة ستة أشهر يقطع فيها قرابة 15.000 ميل لا تتغير في خط سيرها أو زمانها والأعجب من ذلك أنها تترك صغارها لوحدهم باستراليا وما أنّ يقوى عودهم حتى يبدأوا نفس الرحلة بغير دليل ، فمن علَّمهم الطريق ..ومن وضع

---

[1] تفسير القُرآن العظيم لابن كثير ، المجلد الرابع ، ص 470 .

[2] في ظِلال القُرآن ، الجُزء الثالِث ، ص 3642 .

[1] موريس بكاي : ما هو أصل الإنسان ، ص 74 .

فيهم كل هذه المعلومات عن الأماكن المختلفة والمسافات والزمن .. لا يمكن أنّ تكون الصدفة (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير).

5/الحيوانات :

1.(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) [النحل آية: 5].

2.(وإنّ لكم في الأنعام لعبرة ، نسقيكم مما في بطونها من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشـــاربين) [النحل: 66].

3.(ومن الناس والدواب والأنعام مختلف الوانه) [فاطر آية: 28].

4.(خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً بعد خلق في ظلماتٍ ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك ، لا إله إلا هو فأنى تصرفـــون) [الزمر آية: 6].

5.(جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً) [الشورى].

6.(الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون) [غافر آية: 79].

7.(أولم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون) [يس آية: 71].

8.(وفي خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون) [الجاثية آية: 4].

وقال تعالى في سورة النور الآية: 45:

9.(والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إنّ الله على كل شئ قدير).

وجاء في تفسير ابن كثير [1]: "يذكر الله قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلق انواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها وحركاتها وسكناتها من ماء واحد "فمنهم من يمشي على بطنه" كالحية وما شاكلها " ومنهم من يمشي على رجلين " كالإنسان والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالأنعام وسائر الحيوانات ولهذا قال " يخلق الله ما يشاء".

ورد في ظلال القرآن [2] : " وهذه الحقيقة الضخمة التي يعرِضها القرآن بهذه البساطة حقيقة أنّ كل دابة خلقت من ماء قد تعني وحدة العنصر الأساسي في تركيب الأحياء جميعاً وهو الماء وقد تعني ما يحاول العلم الحديث أنّ يثبته من أنّ الحياة خرجت من البحر ونشأت أصلاً في الماء ثم تنوعت الأنواع وتفرَّعت الأجناس ولكننا نحن على طريقتنا في عدم تعليق الحقائق القرآنية الثابتة على النظريات العلمية القابلة للتعديل والتبديل لا نزيد على هذه الإشارة شيئاً بإثبات

---

[1] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، المجلد الثالِث ، ص 371 .

[2] في ظِلال القُرآن ، الجُزء الرابع ، ص 42 .

الحقيقة القرآنية ، منها الزواحف تمشي على بطنها ومنها الإنسان والطير يمشي على قدمين ومنها الحيوان يمشي على أربع كل أولئك وفق سنة الله ومشيئته وليس فلته ولا مصادفة".

ورغم أنّ وجود الأنعام والحيوانات ككل دليل قاطع على وجود المدبر ..إلا أنني توقفت كثيراً عند هذه الآية متفكِّراً في أمر هذا المشي لم ذكره الله سبحانه وتعالى من دون حركات الجسم ..فلولا المشي والحركة بوضع هذه الدنيا لفنيت معظم الحيوانات .. فكيف تجد غذاءها؟ وكيف تتناسل؟ وكيف تحتمي؟ ولهذا أعطاها الخالق قدرة الحركة وأعطاها الوسيلة لذلك ولو كانت قد تطورت من خلية بالصدفة لانتهت لنوع واحد من طرق الحركة .. ولننظر ماقاله موريس بكاي [1] في كتابه ماهو أصل الإنسان " إنّه من الصعوبة في بعض الأحيان التمييز بين التغيير في الشكل النافع والضار ، فمثلاً لقد فقدت الثعابين أطرافها ولكن لا يعني هذا بأنّها وضعت في مرتبة أقل حيث أنّ فقدان الأطراف قد صاحبه تغيير هيكلي وحشوي كبيران ونجد أنّ علماء الحيوانات في حيرة من تفسير هذه التغييرات وفقاً للداروينية".

حقاً إنّها معضلة بالنسبة لهم ولذلك ذكرها المولى عز وجل .. وستكون معضلة لكل من يريد أنْ يهرب من الإقرار بوجود خالق .. لأنّ وجوده أمر حتمي لظهورها .

وفي ذكر الحيوانات دعانا المولى عز وجل للنظر في خلق نوع واحد منـها (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) [الغاشية آية: 17] ، فلماذا الإبل بالذات ؟ والعرب كانت لديهم الأغنام والبقر والخيل .. وقد ورد في تفسيرها عند ابن كثير [2] :" يقول الله تعالى آمراً عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته .. فإنّها خلق عجيب وتركيبها غريب فإنّها في غاية القوة والشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل وينتفع بفروها ويشرب لبنها وتبهوا بذلك لأنّ العرب غالب دوابهم كانت الإبل " . وقال صاحب الظلال [3]: "والإبل حيوان العربي الأول، عليها يسافر ويحمل ومنها يشرب ويأكل ومن أوبارها وجلودها يلبس وينزل، فهي مورده الأول للحياة ، ثم إنّ لها خصائص تفردها من بين الحيوان فهي على قوتها وضخامتها وضلاعة تكوينها ذلول يقودها الصغير فتنقاد .." " أفلا ينظرون إلى خلقها وتكوينها ثم يتدبرون كيف خُلِقت على هذا النحو المناسب لوظيفتها المحقق لغاية خلقها المتناسق مع بيئتها ووظيفتها جميعاً ! إنهم لم يخلقوها وهي لم تخلق نفسها فلا يبقى إلا أنّ تكون من إبداع المبدع المتفرد بصنعته التي تدل عليه وتقطع بوجوده كما تشي بتدبيره وتقديره".

وإختيار الدعوة للنظر للإبل ليست قاصرة على العرب فقط .. وقد اكتشف لنا غير العرب من خصائصها العجيبة ما يدل على استمرارية الدعوة للإعجاز فنجد مثلاً أنّها يمكن أنّ تشرب كميات كبيرة من الماء في وقت قصير كما يمكنها أن تصبر على عدمه لأمد طويل .. وكيف تخزن هذا الماء وكيف تعيد استعماله .. أمر يحير .. ثم إنّ لها مقدرة على المحافظة على درجة حرارتها تتذبذب فيها درجة الحرارة بطريقة تختلف عن بقية الحيوانات وفوق هذا لا نجد لها شبيهاً

---

[1] موريس بكاي ، ما هو أصل الإنسان ، ص 42 .

[2] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، المجلد الرابع ، ص 597 .

[3] في ظِلال القُرآن ، الجُزء الثالث ، ص 389 .

في تسلسل الحيوانات لنقول بأنها تطورت من ذاك ، فجعلها الله آية لكل البشر لينظروا فيها ويبحثوا في تركيبها ووظائفها وتوالدها ليكتشفوا من الأسرار التي تثبت وجود الخالق ولا شك .

6- الجن :-

1.(والجان خلقناه من قبل من نار السموم) [الحجر آية: 27].

2. (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) [الرحمن آية: 74].

3. (يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي) [الأنعام آية:].

4.(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) [الأعراف آية: 179].

5.(وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات آية: 56].

6.(يامعشر الجن والإنس إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) [الرحمن آية: 33].

7. (قل أوحي إليَ انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ..) [الجن آية:1].

8.(وإنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا) [الجن آية: 5]

9. (وإنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [الجن آية :6]

10. (وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) [السجدة آية: 13]

11. (الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) [الناس آية: 6].

وقد قال المولى عز وجل في سورة الرحمن الآيات 15-16:

12. (وخلق الجان من مار ج من نار ، فبأي آلاء ربكما تكذبان) .

وورد في تفسير ابن كثير [1]: (من مارج من نار) من لهب النار من أحسنها .. وكيفية خلقه من نار مسألة خارجة عن حدود العلوم البشرية والمصدر الواحد فيها هو هذا القرآن . وقال صاحِب الظلال [2] :والمارج المشتعل المتحرك كألسنة النار مع الرياح ! وللجان القدرة على الحياة في هذه الأرض مع الإنس ولكنا لا ندري كيف يعيش الجان وقبيله ، وأما الأمر المستيقن فهو أنهم مخاطبون بهذا القرآن ".

---

[1] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، المُجلد الرابع ، ص 321 .

[2] في ظِلال القُرآن ، الجُزء السادِس ، ص 3451 .

لقد كان العرب يؤمنون بالجن ، وكان ركبهم قبل الإسلام حين يحل بوادٍ يستأذن صاحب الوادي من الجن ، وبعضهم قد عبد الجن لذلك عندما تحدث الله سبحانه وتعالى عن الجن كان خطابه اقرارياً توضيحياً لأمر لم ينكروه مع عدم رؤيتهم له .. وفي هذه الآية عرفنا مم خُلق .. من نار .. ربما ضوء وحرارة فما هي أهمية ذلك ؟، إنّ وجود مخلوقات أو أحياء غير مادية بالنسبة لموضوعنا هذا يعني هدم كل النظرية ، وبلا شك فإنّ كفر من تبع النظرية بوجود المولى عز وجل تلاه إنكار وجود الملائكة والجن من الأحياء التي لا نراها ، فهل إن أثبتنا وجود هذه الأحياء من الجن سيبقى شي من النظرية ؟ بلا شك لا ، ولكن كيف السبيل ؟ وهل يجوز ذلك ؟ و إننا لنعرف من القرآن الكثير عن الجان فإنّه يسمع ويرى ولهم قلوب، ومنهم الصالح والطالح، ومنهم الرجال، ومكلفون مثلنا تماماً وسيحاسبون؛ وبعضهم يدخل الجنة وبعضهم يدخل النار أي أنّه لا فرق بيننا وبينهم .. فتخَّيل مخلوق مثلك له آذان وأعين وقلب ويسمع ويرى ويؤمن ويكفر ويتخاطب ويأكل ورغم ذلك لا نراه بعين ولا بمجهر وقد أفرد الله سورة كاملة لهم " الجن " وخاطبهم مع الإنس في كل سورة الرحمن "فبأي آلاء ربكما تكذبان".

وربما ذلك بسبب دعوة سيدنا سليمان (عليه السلام) .. ولكن لم يحجر التعاون مع الجن وجوز ابن تيمية الإستعانة بالصالحين منهم في عمل الخير كالعلاج وغيره .. وهذا يعني إمكانية الإتصال بهم .. فهل هناك طريقة لإثبات وجودهم ؟ وفي نقاش دار بين مسلم وكافر متبع للداروينية سأل المسلم الكافر : هل تؤمن بالجن ؟ فقال : لا فقال له : ما رأيك أنّ آخذك إليه، فاضطرب الكافر الأوربي اضطراباً شديداً لأن إثبات وجود أحياء غير مادية يعني بلا شك أنّ تطوى صفحات النظرية إلى يوم البعث والحساب .. وحسبنا أنّ نعلم أنّ وجود مخلوقات أخرى تتفق معنا في كل الوظائف والتكاليف وتختلف عنا تماماً في التركيب أمر لا يمكن ان يوجد إلا بوجود خالق وجب علينا أنّ نعبده .. وتبارك الله أحسن الخالقين .

7- الحشرات :

1. (إنّ الله لا يستحي أنّ يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) [البقرة آية:26].
2. (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) [الأعراف آية: 133]
3. (خشعاً ابصارهم يخرجون من الأجداث كأنّهم جراد منتشر) [القمر آية: 7].
4. (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) [العنكبوت آية: 41].
5. (وأوحى ربُّك إلى النحل أن اتخذي من الجِبال بيوتاً ومن الشجرِ ومما يعرِشون) [النحل آية: 68]
6. (حتى أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) [النمل آية: 81].

ولنبدأ بقول الكاتب الفرنسي المسلم موريس بكاي [1]عن الحشرات :

" إنّ الحشرات من الأحياء التي لم يحدث لها أي تطور منذ ظهورها على الأرض أو ليس هذا أمر عجيب ! لقد توقفت عند ذكر الله سبحانه وتعالى للحشرات .. البعوض والجراد والقمل والعنكبوت والنحل والنمل والذباب حتى أن ثلاث سور من القرآن مسماة على أسماء الحشرات .. وكان للإقرار السابق بأنّ الحشرات لم يلاحظ فيها أي تطور مدعاة للتفكُّر في هذه المخلوقات التي ذكرها الله (تعالي) في كتابه مدلِّلاً على مقدرته .. وسنكتفي بالحديث عن الحشرات الإجتماعية .. النمل والنحل، فقد جاء في تفسير ابن كثير [2] في تفسير قوله تعالى (حتى آتوا على وادي النمل ...) أي حتى إذا مرّ سليمان (عليه السلام) بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل ، قالت، نملة يا أيها النمل ... أي خافت على النمل أنّ تحطمها الخيول بحوافرها فامرتهم بالدخول الى مساكنهم ، ففهم ذلك سليمان منها...

وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي قال : خرج سليمان (عليه السلام) يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول : اللهم إنّا خلق من خلقك ولا غنى لنا عن سقياك وإلاّ تسقنا تهلكنا .. فقال سليمان : ارجعوا فقد سُقيتم بدعوة غيركم .

وقال صاحِب الظِّلال [1]: قالت نملة لها صفة الإشراف والتنظيم على النمل السارح في الوادي – ومملكة النمل كمملكة النحل دقيقة التنظيم تتنوع فيها الوظائف وتؤدي كلها بنظام عجيب يعجز البشر غالباً عن اتباع مثله على ما أُوتوا من عقل راقٍ وإدراك عالٍ – قالت هذه النملة للنمل بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل وباللغة المتعارفة بينها قالت للنمل : ادخلوا مساكنكم كي لا يحطمكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون بكم ... ونقف هنا أمام خارقتين لا خارقة واحدة خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة لقومها ، وخارقة إدراك النملة أنَّ هذا سليمان وجنوده ، فأما الأولى فهي مما علمه الله لسليمان وسليمان إنسان ونبي ، فالأمر بالقياس إليه اقرب من الخارقة الأخرى البادية في مقالة النملة ، فقد تدرك النملة أنّ هؤلاء خلق أكبر ، وأنّهم يحطمون النمل إذا داسوه وقد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظة للحياة ، أما أنّ تدرك النملة أنّ هذه الشخوص هي سليمان وجنوده فهي تلك الخارقة التي تخرج على المألوف وتحسب في عداد الخوارق في مثل هذه الحال .

والمتدبّر لهذه الآية يرى بأنّ الله (تعالي) قد أخبرنا بان النمل أمة مثلنا تؤمن بالله وتعرف الرُّسل ، وأنّ النمل يعيش حياة اجتماعية ، فيها الحراس الذين يبلغون البقية بالمخاطر ، وأنّ أُنثى النمل هي المتحدثة وهي التي تعمل بالحراسة ، ورغم تعدُّد أنواع النمل فإنّ حياته حياة اجتماعية ، أي يعيش معيشة تكافلية توزع فيها المهام فمنها الملكة ومنها الشغالات والذكور وبعض النمل يخزن غذاءه وزرعه ، وبعضها يرعى في ذلك الموكب الرهيب والجيوش الجرارة المتحركة .. اختار لنا الله (تعالي) حديث نملة لا يعنينا أمرها ولا يهمنا ان تحطمت مساكنها ، ولكن يهم المولى عز وجل

---

[1] موريس بكاي : ما هو أصل الإنسان ، ص 49 .

[2] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، المجلد الثالث ، ص 445 .

[1] في ظِلال القُرآن ، الجُزء الخامِس ، ص 2636 .

أن يظهرها لنا في هذا الموقف ككائن له كينونته المُقدرة وله حياته ومخاوفه .. ليلفت نظرنا إلى أممه الأخرى .. ولكن تصديق هذا الأمر يستدعي الإيمان بالله عز وجل .. وذكر المولى عز وجل هذه الحشرة لأمر يستدعى التفكُّر .. فإنّها حشرة لم يعرف عنها أي تطور وتعيش حياة اجتماعية تماثل حياة أرقى الأحياء .. فكيف ظهرت للوجود ..وكيف يعقل بأنّ تكون أكثر رقياً في نظامها من كل الحيوانات .. بل كل هذا من الحق .. المولى عز وجل؛ فأمر هذه النملة في الدعوة لله مِثل جيش سليمان السائِر ليُقاتِل من أجل إعلاء كلِمة الله .

والنحل لا يختلف عن النمل فهي حشرات اجتماعية .. وفي تفسير ابن كثير [1] عن الآية ؛ (وأوحى ربك الى النحل ...) المراد بالوحي هنا الإلهام والهداية والإرشاد للنحل أنّ تتخذ من الجبال بيوتاً تأوي إليها ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم أذن الله تعالى لها إذناً قدرياً تسخيرياً أنّ تأكل من كل الثمرات وأنّ تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذللة لها أي سهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والأودية والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها الى خليتها فتبني الشمع من أجنحتها وتتقيأ العسل من فيها ثم تعاود نشاطها إلى ما شاء الله .

والنحل يعيش في مجموعات اجتماعية قد يصل عددها في الخلية الواحدة الى "80000" من النحل والعمل تقوم به إناث النحل وإستمرار الخلية يعتمد على استمرار الملكة .. وتقوم الشغالات بالدفاع عن الخلية .. أي كأنها دولة قائمة بذاتها. أمر لا يمكن أنّ يعقل بأنه نتاج تطور .. كيف علمت النحلة الأولى بأنها ستجد من يرافقها في رحلة حياتها وينتظم معها في كل هذا التنظيم؟ لابد لهذا من مدبر (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون) .

والتحدي الذي وصفه الله تعالى لكل من يدعي الخلق .. كان أيضاً حشرة (ياأيها الناس ضُرِب مثل فاستمعوا له ، إنّ الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) [الحج آية: 73].

وقال إبن كثير [1] : " يقول تعالى منبهاً على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها (يا أيها الناس ضرب مثل) أي لما يعبده الجاهلون بالله المشركون بـــه (فأستمعوا له) أي أنصتوا وتفهموا (إنّ الذين ..) أي لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أنّ يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك " وعلق صاحب الظلال [2] على ذلك: " وخلق الذباب مستحيل كخلق الجمل والفيل لأنّ الذباب يحتوي على ذلك السِّر المعجز سر الحياة فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل والفيل ولكن الأسلوب القرآني المعجز يختار الذباب الصغير الحقير لأنّ العجز عن خلقه يلقي في الحس ظل الضعف أكثر مما يلقيه العجز عن خلق الجمل والفيل ! " فلكل من يدّعي بأنَّه ليس هناك خالق .. أو أن هنالك طريقة للخلق غير الله عز وجل .. فليخلق ذبابة .. ولنطبق ذلك على الداروينية :

---

[1] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، الجُزء الثاني ، ص 710 .

[1] تفسير القُرآن العظيم لإبن كثير ، الجُزء الثاني ، ص 295

[2] في ظلال القُرآن

1. الذباب حشرة .. ولم يوجد أي تطور في الحشرات !
2. الذبابة تتغذى على أنواع مختلفة .. ولها أشكال مختلفة .
3. للذبابة ذكر وأنثى .. وتتناسل فكيف يفسر التطور ذلك ؟.
4. الذبابة حية .. تطير وتأكل وتتبرز وتموت .. فما سر ذلك؟.

فهذه الحشرة الصغيرة لوحدها تؤكِّد بأنّ لها خالق وأنها حجة لمن يدعي وجودها بالصدفة .. وحقاً قول المولى عز وجل (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم)

8- خلق الإنسان وخلق السموات والأرض :

وهذا يترك للقارئ للبحث والتفكُّر والتدبر للإجابة . من كل ما ذكر سابقاً هل يمكن للإنسان والسموات والأرض أنّ تظهر لحيز الوجود بالصدفة ، حتى نطرح في تفكُّرٍ آخر الدعوة لله من خلالها .

الخلاصة :

إنّ الدعوة لله تعالى بواسطة العلوم الطبيعية لها أثر في غاية الضرورة في هذا العصر الذي يثق بالعلم ثقة كبيرة ، ولا ريب أنّ التجربة والبرهان لهي من أصدق الأدلة وأظهرها في إثبات الحقائق والإقرار بها، ولهذا كان استخدام الحجج القرآنية والبرهنة عليها من الأهمية بمكان في هذا المضمار ، ولا شك أنّ العلوم الطبيعة ولاسيما علم الأحياء يمكنها أن تساهم مساهمة إيجابية في مسائل العقيدة والتوحيد فهي التي تشكِّل مرتكزاً محسوساً يوميء بالحقائق القرآنية ويدل على الرؤى العقدية عند المسلمين والتي يمكن عبرها دحض دعوى الملحدين والمنكرين للخالق ووجوده.

المراجــع

1- أ- القُرآن الكريم .

ا- ب- أ.د. آمسي : بدايات علم الحشرات.

2- سيد قُطب : خصائص التطوُّر الإسلامي ومقوِماته .

3- سيد قُطب : في ظِلال القُرآن.

4- عبيد السيد الزبير :الإيمان بين العلم والإيمان.

5- ابن كثير : تفسير القُرآن العظيم.

6- د. كريم حسنين : الخلق بين العنكبوتية الداروينية والحقيقة القُرآنية ، القاهِرة ، مصر ، 2001.

7- مالك بن نبي : الظاهِرة القُرآنية ، 1978 .

8- محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون .

9- محمد شحرور : الكِتاب والقُرآن ، قِراءة مُعاصِرة، دمشق ، سوريا ، 1997 .

10- مخلِص إدريس وعلي موسى : الكون والحياة من العدم حتى ظهور الإسلام ، دمشق ، سوريا ، 1997 .

11- المعجم المفهرس لألفاظ القُرآن .

12- موريس بكاي : ما هو أصل الإنسان ، 1982 .

13- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة . الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

14- إبن هشام : السيرة النبوية.

15- وحيد الدين خان : الإسلام يتحدَّى : مدخل علمي إلى الإيمان ، ترجمة ظفر الإسلام خان ، المُختار الإسلامي للطبع والنشر ، القاهِرة ، 1984 .